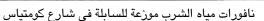


ضريح رئيس الوزراء السابق اندرايك ماركريان في مقبرة المشاهير



(1878 –1968) في شيارع باباجان،

مقابل فندق دي لوكس وتحيط

بمساحة صغيرة من المكان باقة

من الزهور مزروعة بعناية. وكنت

حريضا على المرور به يوميا تقريبا. وتتوزع على جانبي

الشيارع المقاهى والمطاعم والمحال

التجارية. وشهد منذ نحو سنتين

حركة بناء ملحوظة برغم أن

المرور في الشوارع التي تخلو من

بالتقاطعات الضوئية التى تشتق

منها مسارات الاستدارات. وبلفت

النظر ايضًا في الشارع ذاته ليس

نظافته حسب، بل جمال عرض

السلع عبر واجهات المحال. ويبدو

منظر السيدات كبيرات السن

شائعا جدا وهن يستخدمن

اوراق الاشبجار الباسقة التع

الاقتصادي العائلي.

صحاحا الى

السادسة مساءً.

وبرغم اعباء العمل

التى تبدو شاقة فان

الزوجة لا تظهر اي

نوع من التذمر او

التأفُّف او العجز في

استقبال الضيوف

وتقديم الخدمة

اللازمة لهم، يقودهن شعور

(الزمان) تتجول في بلد الكنائس والمتاحف والمشاهير (2)

مبدعون في الضمير الشعبي تحاط أضرحتهم بأكاليل الزهور

## ظاهرتان مستغربتان على الحكومة الأرمينية مكافحتهما

احمد عبد الجيد

يريفان

لا تلتفت الى جهة في شوارع يريفان الا ويواجهك اثر تشخصية مشهورة. فالمبدعون في ارمينيا من اعدادهم، لكنّ الحكومات في هذا البلد الذي تبلغ مساحته نحو 29743 كيلو متراً مربعاً وضعت أكثر من دلالة على تقديرها لعطاء وسيرة كل شخصية تقف وراء قيام الجمهورية او آثراء حياتها الثُّقَافية او تسجيل اسمها في له ائح الخالدين.

فمن التماثيل التي لا تكاد حديقة

او ساحة عامة او فضاء تخلو منها الى اللوحات الضوئية المعلقة التي تحمل الصور مع الحاز بمأثرهم، الى الشوارع السماة باسمائهم، الَّى القاعات الفخمة. وخصصت الحكومات الارمسية المتعاقبة مقبرة خاصة بالمشاهير، هي في الواقع جنينة على ارض شاأستعة تظللها الاشتجار المعمرة وانواع نادرة من الزهور. وقد حرت العادة أن هذه التماثيل غالباً ما تحاط بمساحة صغيرة مليئة بالشيتلات الملونة التي تعكس روح التعلق بالحياة والثَّراء النفسيُّ. وكانتُ التفاتة جميلة من صديقي انه ارشدني الى مقبرة المشاهير. وقد كان يظن انها تضم رفات الفنانين والادباء، حسب، لكُنَّا فوجئنا بَّانَّهَا تَضْم ايضنا قبور بعض السيناسيين، الندين لنهم مننزلة في الوجدان الشيعبي، برغم أن هذا الوجدان لا سدو موحدا أو متفقا على رأي وأحد، وهي سنة طبيعية تسود العالم بحيث توزعت بسببها الاراء بين الأكثرية والأقلية، أو مبدأ الاذعان لرأى الاغلبية في النظم الديمقراطية. وفي الولايات المتحدة الامريكية على سبيل المثال، من النادر الوقوف على رأي ثابت بشأن اية قضية، ولاسيما

مواقف الاشتخاص والناشطين. وبوم رحل السيناتور جون ماكين الذي شبغل مناصب سينادية ببنها نائب الرئيس جورج بوش الابن. وقد رحل ماكين غداة عودتي من يريفان يوم السبت 25 اب الجاري، وهو من اكثر السياسيين الامريكيين نفوذا، وقد دافع باستمرار عن سياسة خارجية صارمة لبلاده بما في ذلك الحرب على العراق والموقف من الران وفرض عقوبات ضد روسيا وريما لا يدرك السراحل ان 90 بالمائة من الشبعب الارميني يتحدث الروسية، وان ارث الحقبة السوفياتية في هذا البلد مازال شباخصنا ويبعد موضع اعجاب العالم، اذ لا تُحد صرحاً الا وكان من انجازات الحكومات الحليفة للأتحاد السوفياتي. ولا تقرأ نصا ابداعيا الاوتجد فيه روح العمل الشيوعي الذي رسخته قعم الاتحاد السّابق. وليس مستغرباً انى وجدت حالة مماثلة خلال زبارتی الی حورجیا عامی 2013 و 2015. وكنت ابحث عن جديد في حياة هذا البلد دال على حداثة معمارية فلم اعثر سوى على مبنى الممثلية الأوربية المطل على نهر (كورا) الوحيد الدي يشقّ العاصمة الى شطرين. مقبرة المشاهير

ولفت انتباهنا، فور دخولنا بوابة مقبرة المشاهير في يريفان مجاميع نسوية بعضها يستظل تحت الأشحار العالية تحنيا من حرارة الشمس، وهي مزعجة في النهار، وبعضها ينتشر متفرقا هنا وهناك. ورأى صاحبي كامو الذي رافقنا في هذه الزيّارة ان الناس ترتاد المقبرة للترويح او الاطلاع، لكنا فوجئنا باحداهن، وهى سمينة ذات نظرات شرسة،

تمثال موسيقار ارميني امام مبنى الاوبرا وسط يريفان

بالمرمر الاحمر وتحف به اكاليل الزهور، ونظرت كامو فرأيته مشاطرها الشعور، وقد زم شفته فى اشتارة الي بسأن النصريح يعود الى شخصية رئيس . الحكومة الارمينية في الاعوام 2000 – 2007. وأستتهجينت هذا التصرف منها ولو انى كنت اتقن اللغة الارمينية لذكرتها بالقول المأثور (اذكروا محاسن موتاكم)، فضلاً عن ان تصرفها يفتقر الى اللياقة الوطنية كليا، من مبدأ اني غريب وان عليها تجنَّب اظهار هذا الحقد على رجل توفاه الله الذي سيقاضيه بالعدل على اعماله. واضطررت الى تجاهل تقويمها الى اندرايك ماركريان رئيس الحكومة الاسبق، واتجهت نحو ضريحه متأملا دقة العناء وحمال التصميم ونظرت الى صورته المحفورة بالشاهدة المرمونة البيضاء فرأيت ما يشيه الأطمئنان فيها. وتذكرت في تلك اللحظة طراز من البشر في بالدي التي تقتل زعماءها ثم سرعان ما تترحم عليهم وتغرق بالثناء على انحازاتهم وطريقة ادارتهم الحكم بعد فوات الآوان. هكذا فعل هؤلاء مع نورى السعيد وعبد الكريم قاسم وصدام حسسن وعسد البرحمن عبارف واحتمد حسن البكر، اما ملُوك الحقية التأسيسية للعراق فان اكثر العراقيين يترحمون عليهم ويتمنون عودة نظام حكمهم. والحق اننا لانفقه ثقافة الاختلاف والخلاف جيدا، وليس لدينا منطقة رمادية في الحكم

عدم الاقتراب من ضريح مشيد

والتقويم. فأما أبيضٌ وامًّا اسودُ واما انت معى او ضدي. واعود الى رؤية الامريكيين التي تختلف عن بقية الشعوب فيما يتعلق بِالْنظرة الى الخُصوم، والسيما بعد وفاتهم. وبرغم أن وجود مكين بوصفه جمهوريا كان على خلاف حاد مع الرئيس السابق باراك اوباما، فان الاخير علق على نبأ وفاته بالقول (انا وجون ماكين ننتمى لاجيال مختلفة، ولكل منا مُرجعيته الخاصة، التي تختلف عن الإخر، وتنافسنا في قمة الهرم السياسي، لكن لدننا قاسما مشتركا وهو الآخلاص لشيء اسمى وهو المثل العليا، آلتي حارب من احلها احتيال من الامريكيين). واضاف (القلُّتُل متَّا سُلكَ طريق جون ماكين، الذي تميز بالجرأة والشحاعة، وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخّصية). واكتشفت

سينمائيين كبروزك

وانا اواصل تجوالي، ان من النادر ان يحظى زعيم سياسي بشرف دفن رفاته فی هده المقبرة، الااذا كان قد حقق أنجازا بارزا او فريدا ليلده، اما يقية القبور (الاضرحة) فهي لفنانىن تشكىلىين وشعراء وفنانس

نورى السعيد

مكلتبسان وارام خاجاتوران وشاعرة ارمينيا سلفا نابوتكيان وكوميتاس (1935 –1869) الذي اطلق اسمه على واحد من اهم شوارع العاصمة، وراج مزيجيان فضّلًا عن الرئيس الارميني السابق ديمرجان. وتتوزع قبور حشد مؤلف من نحو 25 شخصية على فضّاء مفتوح يوحي بان ارواحهم حاضرة، وان لا مكان يحجب عنها رؤية ارمينيا وهي

الشيقق الموزعة فيه هي تركة سوفيتية لم يتم تأهيل اي قطعة تنمو وتكبر وتتفاعل في بيئة منها لكنها ظلت نظيفة وتتسم دولية تحظى من خلالها بالاهتمام بوجود محال تحت الارض، واتساع التعليم وخدمات الصحة تتحدث الينا بالارمينية طالبة اسفلها تستخدم على الاغلب والبلدية والتعليم. ومن جميل ما رأيت في المكان بعض الاشتجار كدكاكين للخدمات السياحية او

> وقد رتبت او تم قص اغصانها على هدئة الات موسيقية او طبور او حيوانات برية. ولقد سبق أن رأيت مشاهد منها مماثلة في رحلة لى الى عمان حيث تجتهد مشاتل ألزهور وتتفن في اعمال من هذا النوع، وعندما هممت بمغادرة المكآن غمرنى احساس بالفارق الشاسع بين هذا البلد غير النفطى وبلدنا ازاء تكريم المشاهير والمبدعين والمتصوفين، وتساءلت متى يأتى يوم نزور فيه مقبرة تضم رفات كبار شعرائنا وفنأنينا وصحفيينا ورموز الثقافة والطب والعلوم والمعمار، ونضع بأيدينا اكاليل الزهور على

أَضْرِحْتُهُمْ، عَرِفَاناً وَتَبِجِيْلا؟ وعلى ذكر كوميتاس فأن الشارع الذي يخلد ذكراه يضم ايضا تمثالا للمبدع فهرام ببرزيان

الترفيهية او التجارية. ويشهد شارع كوميتاس حركة مرور نشطة وتكثر فيه أنواع من النقل العام والخدمات بدءا من الصالون وانتهاء بالحافلات (البوت) الكبيرة المصممة على السير بالكهرباء عبر شبكة معلقة على طول مسار خطوط هذه الحافلات، وبالمناسبة فان اجور النقل بانواعها زهيدة جدا في ارمينيا، وهي لا تكتفي باستخدام البنزين بل أن جل المركبات الحديثة تعتمد البوم على الخاز في تسبير حركتها. وهذا النوع من بالوقود غير مكلف قياسا بالوقت التقليدي، وربما لهذا السبب لا ىتحمل ألركاب اعباء مالية في تناقلاتهم بها، وصادفت حوادثُ تصادم بالمركبات ملفتة للنظر،

احمد حسن البكر

تمثال أحد مشاهير أرمينيا فهرام ببرزيان

نتبجة السرعة وطبيعة قواعد

ساحترام ارادة النزوج وقبول ضيوفه، والسيما اذا كانوا من رعايا دول اخرى. وقدمت السيدة الارمينية (لارا) وهي زوجة (كامو) الصديق الذي راققنا في جل مشاويرنا داخل يريفان وخارجها، مثالاً تحتذى بالكرم ورعاية الضيوف، عند زيارتين قمنا بهما الى المُنزل الملاصق للسكن الذي اقمنا فيه اسبوعا، فهي مربيةً تتصف تأنسانية نادرة من خلال وظيفتها في رعاية طفلة معاقة داخل منزل عائلتها لقاء راتب شهرى تتقاضاه. ومن شدة محبة هذه العائلة لها وتقدير جهودها في رعاية الطفلة فانها تمارس عمَّلُها منذ نحو تسع سنوات. كانت الطفلة بعمر سنتين وهي

جون مكين



الشائع جدا بين شباب بغداد، وحدثت المترجمة السيدة (فيوليتا) بها فأنكرت. وعندما اكدت لها رصدى لحالات عديدة من التحرش والنظر الحاد في ارمينيا، قالت ربما، واشرت الى انّى لم اجد الظاهرة في جورجيا برغم ان النساء، ولاسيما الشابات يتحلين بحرية ارتداء ملابس عصرية مماثلة. والى ذلك فاني اتمنى على الحكومة الارمينية القيام بحملة توعدة لمكافحة هذه الظاهرة او الحد منها، ولاسيما ان البلد يعتمد بشكل شببه تام على السياحة وانه بلد منفتح على ثقافات العالم، وان من غير المقبول رؤية ممارسات مسيئة من هذا النوع تتفشى فيه. واتصالا بهذا الامر فاني لم ألحظ اي شكل من اشكال العنف الجسدي على اذرع او وجوه النساء برغم ان ملابسهن القصيرة تكشف اي علامة عنف قد تتعرض لها اية واحدة منهن، ما يدل على ان الرجال يعاملونهن بلطف وسلاسة، وهي ظأهرة تندرج تحت عنوان تقهم طبيعة المرأة وطريقة التعامل العاطفي معها كزوجة وحبيبة او اخت او أم.

كوميتاس ظاهرتين مؤسفتين،

الاولى وجود بعض حوادث

التحرش الجنسي، تلميحا او

تصريحا، من قبل بعض الرجال،

بالنساء وتعمد التدقيق في

وقد فوجئت بهذا السلوك هناك،

شيوع الاستجداء اما الظاهرة الثانية التي رصتها من خلال جولاتي في كوميتاس وسنتر المدينة، قَهي شيوع الاستجداء ووجود مواطنات طاعنات في السن وبعض الرجال يمارسونَّ هذه اللَّطريَّ في العيش، التي يجب ان لا يكون لها اثر في بلد عدد الكنائس فيه يفوق أي عددها في بلد اوربي أو أسيوى آخر. واستطيع القول ان وعود رئيس الوزراء الحديد (اشبينيان) ستكون موضع

تمثال كوميتاس في مقبرة المشاهير اختبار امام الظاهرتين المشار اليهما. واتمنى انى اكرر الزيارة الى ارمينيا فلا تقع عيني على شباب بلاحق فتاة او يضايقه وهي منصرفة الى منزلها في المسّاء بعد رحلة عمل شباقة، ولا تقع عينى ايضا على سيدة طاعنة هو فسحة الحركة على الارصفة تجلس على رصيف شارع الاوبرا وعدم وجود تجاوزات من وقد مدت مدها تطلب الرحمة (الدرام) للعيش مما تجود به ايادي السواح وبعضهم يحارب في بلده اي طريقة مهدنة مماثلة. ولأشك ان محاربة الفساد ومقارعة فلوله يقودان الى تصفية جيوبه الاقتصادية المخادعة والضارة احتماعياً، ومنها الاستحداء أو التظاهر بالعوز والفاقة او عمليات الاحتيال على الوافدين الى البلد، وقد اطلعت على بعض صورها من عراقيين جاءوا الى ارمتنا للسياحة فتعرضوا الي النصب من افراد يزعمون انهم متولون القيام بجولات سياحية في مناطق ارمننيا البعيدة، أو ينظمون جلسات ليلية في بعض المقاهي والمنتدبات. وغالبا ما يكون ضُحَّاياهم شباب قادمون مع عوائلهم فيتم استدراجهم والأست حواذ على اموالهم ثم الهرب بها. واطلعت شخصيا على قصنة شياب قادم مع والده الاستاد الحامعي، ووقع ضحية هذا النوع من (الترويج) السياحي الضار يسمعة ارمينيا

ومن بين اكثر المشاهدات التي لُفُتْتُ انتباهي ولها علاقلَّة بالرياضة والشبآب في ارمينيا، كثرة مكاتب المراهنات على لعبة كرة القدم. ليس بالنسية للمبارياتُ المجلِّية حسب، بل الدولية والاوربية خصوصاً. ويستثمر الانترنت في اشاعة مثل هذه المراهنات.

انتشار مكاتب

واتاحت هذه المكاتب للراغبين اجواء مغرية في مكاتب مزودة باجهزة الحاسوب والاثاث المريح. ووجدت انها منتشرة على نحو مَيْالُغ فيه، كما ان شركات المراهنات تتنافس على الاستحواذ واستدراج المراهنين بحيث تتوزع في ابرز الشوارع والمناطق. وحقا كنت احدق بداخلها فلم اجد الاقلة من المراهنين لكني اكتشفت وجود مطّبوعات الخاصة بها تباع في الاكشاك، التي لا تكتفي ببيع الصحف حسب بل السجائر وانواع

من العصائر احتانا. وقارنت وضع الشباب في ارمينيا بنظرائهم في العراق ووجدت أن الاولين اكثر جدية وانهم غير ميالين الى التسريحات الغربية أو أرتداء الاكسسوارات المثيرة. فهم يكتفون بحلاقة شعورهم بتسريحات طبيعية شائعة، فيما يمرح ويسرح مقص الحلاقين في بلادنا برؤوس شبابنا ويعض شيوخنا، فيحيلها الى اشكال عجيبة غريبة مدهونة بكميات كبيرة من المستحضرات الضارة والأصباغ. وانسحب الأمر الى اجهزة الشرطة والجيش أذ نجد من بين المنتسبين من يحلق (حواف) او يضع (جعجولة) او يقتدي بِالْمَارِينَزِ الْأمريكي أو الأيمو. انني لست ضد الحريات الشخصية او الموضة، لكنى من انصار الاعتدال في كل شيء. وقد يكون هذا الاعتدال موجود قى الغرب وغائب عندنا

